



الرئيس
سليمان
(هيثم)
الموسوي

عندما تقرأ الجملة الاعتراضية. بكلام آخر يقول: إن العدو يستطيع أن يقصف وأن يدمر وأن يعتدي وأن يغير على لبنان دون أن تقوم المقاومة بأي عمل مقاوم قبل حصول الاحتلال لأرضه. هذه المعادلة الغربية ما كان يمكن أن تصدر إلا عن إرادة مناقضة للرغبة في الدفاع عن الوطن. ثم، ألم يلاحظ سليمان أن لبنان واقع تحت الاحتلال؟

ليست الأوراق المقدمة إلى لجان الحوار السقيم إلا محاولات لتضييع الوقت، ولتكميل المقاومة والمشاركة في خلق ثقافة مهادنة للاحتلال الإسرائيلي. يمكن وضع استراتيجيات ميشال سليمان في ملف واحد من خطة مهملة كان قد وضعها قائد لواء تحويرين، الذي تعرّض لمؤامرة في مصعد لم يكن فيه.

* أستاذ العلوم السياسية في جامعة كاليفورنيا (موقعه على الإنترنت: angryarab.blogspot.com)

رئيس جمهورية لبنان. ويريد سليمان أيضاً أن «يفعل» الحضور الدبلوماسي اللبناني حول العالم. وهذا البند هو خلاصة ورقة سليمان. إن قوة لبنان ومقاومته تكمن في ضعفه. ليست خطة سليمان إلا عودة إلى الستينيات، وإلى عقيدة فؤاد شهاب المتخاذلة في عهد شارل حلو.

لكن سليمان يلحظ وجود المقاومة، فيقول إنه يريد التوصل إلى توافق على أطر وآليات «مناسبة» لاستعمال سلاح المقاومة ولتحديد إمرته، وكان المقاومة تُحتزل بسلاحها. لا يعلم سليمان أن قوى وتنظيمات لبنانية وفلسطينية تملك أسلحة متنوعة ومتعددة عبر السنوات، ولم تكن فعالة في مقاومة العدو، كما حدث في حرب تفوز، لكن سليمان يضيف جملة اعتراضية يقول فيها «إن عمل المقاومة لا يبدأ إلا بعد الاحتلال». تكاد تقفز من المقعد

ويحاول سليمان التعمية على خبث البند المذكور، عبر إضافة شكلية عن «تزويد الجيش اللبناني بمعدات وأسلحة حديثة». نسي أن يشرح قائد الجيش السابق مقاصده: من أين ستأتي بالأسلحة الحديثة؟ من أميركا؟ أم من روسيا، التي زوّدت شريك السابق، إلياس المر، بطائرات خيالية؟ (عقب سليمان على إلياس المر إهائته إياه في أحاديث «ويكيليكس»). لكنه لم يعب عليه لكلامه الطائفي، ولتقديمه العون والمشورة إلى إسرائيل في عدوان تفوز. وما هي الأسلحة الحديثة التي تنوي تزويد الجيش بها، ولماذا لم تزودها إلى الآن أثناء سنوات حكم الحافلة ب... الرحلات الرئاسية السياحية، رغم حملك القضية اللبنانية إلى البرازيل ورومانيا. ويريد ميشال سليمان أن ينشئ مركز تدريب «لرفع جاهزية الجيش». هل المشكلة نقص في التدريب؟ لا تتحرّر الأوطان بالتدريب يا

الذي يسحقه اقتصاد السوق ويجرده من جوهره الإنساني... المرئي واللامرئي في الأدب والسياسة» (ص 42). ترسم هذه الكلمات اللاذعة، التي قد لا تخلو من الطابع الرغبوي واليوتوبي، حداً فاصلاً بين البرنامج الطبقي التقدمي المطموح إليه والمتناغم مع البيئة الاجتماعية والغائب عنها حتى الآن، وبين ما هو حاضر (انطولوجياً؟) ولكنه يعيش حالة اغتراب حقيقية عن بيئته وحاضنته الاجتماعية. هنا، نضع أيدينا على أهم سبب من أسباب حالة العزلة وقصور الأداء التي عاشتها التيارات والقوى الحداثيّة، سواء كانت اشتراكية أو ديمقراطية أو قومية عربية، وانتهت باندثار بعضها وتحول البعض الآخر إلى كيانات رمزية لا أثر لها في الواقع الراهن. أما الصنف الذي أقلت من هذه المصائر، فكان له حضوره الذي تقدّم وصفه، وله أسبابه المختلفة، ومنها ما جاءت بها رياح «الربيع العربي» ذاته، وتعاملت هذه القوى معه بذكاء وموضوعية؛ ومنها ما يعود إلى طبيعة المرحلة التاريخية الشديدة الخصوصية التي فهمتها هذه القوى وبرمجت حضورها وحركتها بموجب حقائقها. غير أن تكرار هذه القوى لأخطاء القوى القديمة التي اندثرت أو كادت، وخصوصاً تغليبها لما هو هامشي على ما هو رئيسي، والتهاون في القضايا الطبقيّة والوطنية والقومية تحت شتى الذرائع الليبرالية الجديدة والقديمة، لن يجنبها من مال العزلة والاغتراب، ومن ثمّ الاندثار المحتوم. ولعلّ من أهم المقاربات التي يجب على قوى اليسار والتيارات القومية الديمقراطية، شباباً وقيادات، صياغتها وتقديمها، هي الخاصة بالتعامل مع القوى الإسلامية المهيمنة اليوم. فلعلها أن تكون مقاربة ترفض

إيضاح الأسباب، ربّما لأنها أكثر من واضحة؛ كتب العلوي، آنذاك، وكانه يعيش في أيامنا هذه:

«إن الصراع الحقيقي في الساحات الحقيقية ليس صراعاً فكرياً، ومشكلتنا ليست مشكلة إيديولوجية، وما هو مستهدف من قبل العدو ليس الثقافة ولا المثقفين، بل أرضنا وثرواتنا وكرامتنا الوطنية. فالصراع هو صراع بين معدّ ومعدّي عليه، بين شعوب وقوى احتلال واستعمار. ويتلازم ذلك مع استهدافات أنظمة الفساد، وهي في الوقت نفسه أنظمة خيالية وطنية... إن الحزب الشيوعي منظمة اجتماعية

منها أداؤها السياسي وانكشاف برامجها ومخططاتها. وهذه الواقعة تفنّد أطروحات العلمانيين المصابين بالرهاب الإسلامي، والذين يعتبرون وصول القوى الإسلامية المحافظة إلى السلطة نهاية التاريخ وكارثة الكوارث والدليل المفجّم على سلبية «الربيع العربي» ككل... بل رجعتّه أيضاً.

- ضرورة الربط بين القصور الكبير في أداء التيارات اليسارية والقومية العربية، وبين أزمة كيانية قديمة وعميقة وشبه مستعصية، في أسس هذه التيارات وطبيعتها. ثمة تشكيلة واسعة ومعقدة من الأسباب والمسببات وراء هذه الأزمة، يرجع بعضها إلى الانقطاع شبه التام بين القوى الحداثيّة وجمهورها العريض. كما لعب الانحراف الحزبي، والخلط البرنامجي في الأولويات، لدى هذه القوى، دوراً سلبياً قوياً ساهم في عزلها عن بيئتها المجتمعية، وسهل مهمة ضربها وتحجيمها من قبل القوى المحافظة في الحكم أو خارجه. ولتوضيح ما نقصده بـ«الانحراف الحزبي» وخط الأولويات» تفكّن الإشارة إلى نزعة راسخة لدى أغلب هذه القوى، وخصوصاً

الماركسيّة، إلى إعطاء الجانب الإيديولوجي الأولوية، بحيث تحوّل مهماتها الطبقيّة والاجتماعية إلى هامش يمكن الاهتمام به في المناسبات، كعيد العمّال العالمي وذكرى تأسيس الحزب، وما إلى ذلك من نشاطات احتفالية لا تقدم ولا تؤخر.

هنا يمكن أن نستذكر ما كتبه المفكّر العراقي الراحل هادي العلوي في تقويمه ملف فكري نشرته مجلة الطريق، التي يصدرها الحزب الشيوعي اللبناني، في تسعينيات القرن الماضي، وطلبت هيئة تحريرها إلى الراحل كتابته، لكنها رفضت نشره لاحقاً من دون

سياسية، ولا علاقة له بالثقافة ولا بالعلوم، بل هو أداة نضال وطني وطبقي، وأفضل أعضائه ومناضليه هم الأميون، وأسوأهم العلماء والمثقفون. ليس للشوعية صلة بالثقافة ولا بالإيديولوجيا، بل هي موقف طبقي خالص... إن الشخّاذ في مجتمعاتنا يعرف عن الشيوعية أكثر من قادة الأحزاب الشيوعية حين يمدّ يده فيقول «من مال الله» متحدياً أهل المال بأن يعيدوا إليه حصّته في المال العام الذي يستولون عليه، بينما يتبارى الكثير من شيوعيينا اليوم في التبشير باقتصاد السوق بوصفة الحل السحري لازمة الإنسان

* كاتب عراقي (ينشر بالتزامن مع مجلة الآداب)